

## الدلالات والأبعاد الدعوية في آيات العقيدة من خلال (أيسر التفاسير لأبي بكر جابر الجزائري)

**Dawah Dimensions and Conditions in the verses related to the  
faith through the (Aysar al Tafasir of Abu Bakr Jaber Algerian)**

DOI: 10.5281/zenodo.7506919



\*الدكتور طاهر صديق

\*\* نصر الله عبد الوهاب

### Abstract:

*This article titled "Dawah Dimensions and Conditions in the verses related to the faith through the (Aysar al Tafasir of Abu Bakr Jaber Algerian has been elaborated and explained short biography of Sheikh Abu Bakr Algerian, and a few words about his most important book (Aysar al Tafasir).*

*This article has been written to indicate the dimensions of Dawah in Creedal verses through the (Aysar al tafasir of Abu Bakr Jaber Al-Jazaery) in the following two chapters:*

*The First Chapter includes the biography and introducing of Shaik Abu Bakr, then defining His Holy Quran Interpretation (Aysar al tafasir) very shortly.*

*In Second chapter: it has mentioned the Dawah indications and dimensions in creedal verses through the (Aysar al tafasir) that contain three topics:*

*The first Topic: monotheism and how to call (dawah) to it in (Aysar al Tafasir).*

*The second Topic: the prophecy and its Preaching aspects in (Aysar al Tafasir).*

*The third topics: The Last Day and the Resurrection its Preaching dimensions in (Aysar al Tafasir). Then the conclusion, it mentioned the most important finding and recommendation of the research*

**Keywords:** *Dawah Dimensions and Conditions, Creedal verses, Religion, Interpretation of the Quran, Dawah indications and aspects, Tafsir, Faith, Abu Bakr Al-Jaza'iri, Al-Jaza'iri*

### المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، محمد وعلى آله

وأصحابه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

\* أستاذ مساعد، قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد، باكستان

\*\* باحث دكتوراه، قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد، باكستان

يُعدّ الشيخ أبو بكر جابر الجزائري - رحمه الله تعالى - من العلماء المعاصرين الذين اجتمع فيهم صفتا الرسوخ في العلم، والدعوة إلى الله تعالى، ويعدّ تفسيره "أيسر التفاسير لكلام العليّ الكبير" من أهمّ التفاسير المختصرة المتميزة بسهولة العبارة وبيان أهمّ العقائد والأحكام والفوائد، وقد وضع الله له القبول والانتشار، وتناول فيه الشيخ أبرز جوانب الدعوة إلى الله، وأهمّ موضوعاتها وأصولها بياناً ودعوةً وإصلاحاً وتقويماً، وأهمّ تلك الموضوعات -والتي تستقيم به النفوس، وتنظم به الحياة، وتصلح به الأعمال- هو العقيدة الصحيحة التي تحدّد للإنسان وضعه، كمنخول له فطرته ومسؤوليته، وأنّ أمره كله بيد خالقه سبحانه وحده، الذي بيده الأمر كله فتحمله على تعظيم حقه، وتقديسه وتنزيهه وعبادته وحده، واتباع أوامره واجتناب نواهيه، ورعاية حرّماته والتزام شريعته والوفاء بحقوق عباده، وحسن الصلة والبر بهم، والتخلّق بمحاسن الصفات ومكارم الأخلاق.

ومن هذا المنطلق جاء هذا المقال في بيان الدلالات والأبعاد الدعوية المتعلقة بآيات العقيدة في تفسير "أيسر التفاسير"، والاهتمام الخاص بمعرفة التوحيد والدعوة إليه، وبيان الرسالة المحمدية - على صاحبها أفضل الصلاة وأتمّ التسليم-، ومعرفة الإيمان باليوم الآخر وحقيقته، ولا غرو في ذلك؛ إذ العقيدة من أهمّ أركان الدعوة إلى الله تعالى، متمنياً أن يعرف المسلمون منهج الشيخ في تفسيره لموضوع الدعوة، ويستنبهوا بمسيرته الدعوية، وتتخلص خطة هذا المقال العلمي فيما يلي: التعريف بالشيخ أبي بكر جابر الجزائري وتفسيره، ثانياً: الدلالات والأبعاد الدعوية المتعلقة بآيات العقيدة في بيان (التوحيد، والرسالة والإيمان باليوم الآخر في تفسير (أيسر التفاسير).

**أولاً: ترجمة الشيخ أبي بكر جابر الجزائري، والتعريف بتفسيره، ومعنى الدلالات والأبعاد الدعوية**  
**1: ترجمة فضيلة الشيخ أبي بكر جابر الجزائري:**

هو العلامة المفسّر أبو بكر جابر بن موسى الجزائري ولد عام 1342هـ الموافق عام 1921م بالجزائر، وتوفي عام 1439هـ 2018م عن عمر 91 عاماً، في المدينة النبوية<sup>(1)</sup>، طلب العلم في الجزائر، ثم قدم إلى بلاد الحرمين واستوطنها، وتلمذ على مشايخ مكة المكرمة والمدينة النبوية، ونال الشهادة العالمية من كلية الشريعة بجامعة الإمام بالرياض عام 1374هـ، وتولى التدريس في دار الحديث بالمدينة النبوية، ثم عمل أستاذاً بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة منذ 1960م وحتى تقاعده 1986م، إضافة إلى تدريسه بالمسجد النبوي الشريف مدة خمسين عاماً<sup>(2)</sup>، ومن أشهر كتبه: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) و(منهاج المسلم) و(هذا الحبيب محمد ﷺ) و(المرأة المسلمة) و(رسائل الجزائري) وغيرها<sup>(3)</sup>.

**2: التعريف بـ (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير):**

تفسير "أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير"<sup>(4)</sup> أحد كتب التفاسير المعاصرة، ألفه الشيخ أبو بكر الجزائري، يلتزم فيه بعقيدة السلف في بيان العقيدة الصحيحة والأحكام الشرعية، ويصلح للتدريس في المدارس والمعاهد، وقد أشار عليه أيضاً الرئيس السابق للجامعة الإسلامية بالمدينة أ.د. عبد الله بن صالح العبيد<sup>(5)</sup>. ويمتاز تفسير "أيسر التفاسير" بسهولة العبارة والإيجاز في الشرح؛ ومنهج المؤلف فيه أنه يأتي ببعض الآيات ويشرح مفرداتها ثم يشرحها إجمالاً مع ذكر مناسبتها للآيات السابقة، ثم يبيّن أهم ما تضمنتها الآيات من أحكام وفوائد معتمداً على عقيدة السلف الصالح في العقائد، وعلى المذاهب الفقهية الأربعة في بيان الأحكام والمسائل<sup>(6)</sup>، والاقتصار على الأحاديث الصحيحة والحسنة دون غيرها، متجنباً الإسرائيليات، وعدم التعرّض للخلافات التفسيرية والمسائل اللغوية، وهذا كل ذلك رجاء أن يسهل على المسلمين تناول كتاب الله دراسةً وعملاً وتطبيقاً<sup>(7)</sup>. ولقد ذكر الشيخ - رحمه الله - أنه اعتمد في كتابه على تفسير ابن جرير الطبري، وتفسير القرطبي، وتفسير ابن كثير، وتفسير الجلالين، وتفسير المراغي، وتفسير السعدي، وتفسير ابن عاشور وغيرهم - رحمهم الله تعالى -<sup>(8)</sup>.

**3: معنى الدلالات والأبعاد الدعوية.**

**الدلالات:** جمع دلالة، ومعناها: الإرشاد، والهداية، والكشف، والإبانة، وما يقتضيه اللفظ عند إطلاقه<sup>(9)</sup>، وجمع الدلالة: دلائل ودلالات<sup>(10)</sup>. وأما في الاصطلاح فهي: كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر<sup>(11)</sup>. **والأبعاد جمع بُعد، والبعد:** اتساع المدى وخلاف القرب، قال ابن فارس: "الباء والعين والذال أصلان: خالف القرب"<sup>(12)</sup>. وتأتي بمعاني منها: السمات والمظاهر والجوانب<sup>(13)</sup>. **والمقصود بالدلالات والأبعاد الدعوية هنا:** مجموعة المدلولات أو الجوانب أو المجالات المرتبطة بمفهوم الدعوة والداعية والمدعو ووسائلها وأساليبها والآثار الناتجة عن تجسيد هذا المفهوم في جوانب الحياة المختلفة. أو نقول مختصراً هي: المفاهيم والأدلة والجوانب التي ترتبط بالدعوة إلى الله تأصيلاً وتفعيلاً.

ثانياً: **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، والدعوة إلى الله تعالى.**

القرآن الكريم هو المصدر الأول للدعوة إلى الله تعالى، فهو يتناول كافة الموضوعات التي يحتاجها الداعية في الدعوة إلى الله، ففيه بيان موضوع الدعوة، وهو الإسلام، وهناك آيات من القرآن الكريم تتحدث لنا عن صفات الداعية وأخلاقه ومنهجه في التعامل مع المدعويين مستوحاة من قصص الأنبياء والرسل مع أقوامهم، وذكر القرآن الكريم لنا الوسائل والأساليب التي يجب على الداعية أن يهتم بها لنجاح دعوته وإيصال صوت الحق إلى الناس كافة.

وقد كان الشيخ أبو بكر الجزائري من المهتمين بالدعوة إلى الله، وتفسيره "أيسر التفاسير" خير دليل على هذا الاهتمام، فغالبا موضوعاته دعوية، فهو يجتهد في تقريب القرآن الكريم للمدعوين، ويجاول استنطاق الآية والاهتداء بمبديها التي يوردها بعد كل مجموعة، ويبرز أهمية المسائل العقيدية والأخلاقية والتشريعية منها في حياة المسلمين، ويوظفه في دعوته إلى إصلاح المجتمع وشفاء العقيدة، ويردّ على كل مخالف في ضوء الكتاب والسنة.

فكان رحمه الله تعالى ذا منهج سديد في الدعوة إلى الله تعالى، لذا انتظمت درر الدعوة ومرتكزاتها الأساسية من: أصول الدعوة - وهو ما يقدمه الدعاة إلى الله تعالى للمدعوين في جانب العقيدة والعبادة والأخلاق، والصفات التي يعتمد عليها الداعي إلى الله تعالى فيما يقدمه للمدعوين، مع النظرة الشمولية للإسلام، وعدم قصره وحصره في زاوية مسجد، بل يشمل جميع جوانب الحياة ومجالاتها، ومحاربة كل ابتداء وإحداث في الدين، حتى يبقى خالصاً كما بلغه النبي ﷺ إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها، ثم الأساليب التي يقدم فيها الداعي إلى الله تعالى دعوته؛ فالمعاند تقدم له الدعوة بأسلوب، والغافل له أسلوب، والجاهل بأسلوب، فلكل مقام مقال، ولكل حالة لبوس.

ثم الكيفية المثلى في إعداد من يتحمل أعباء الدعوة، فيقوم بها حق القيام، فالدعاة هم العنوان الرئيسي للدعوة، بهم تسطع وتنشر، فدورهم هام، وموقعهم في الدعوة حساس، إذا انحرفوا انحرفت؛ وإذا استقاموا استقامت.

ثم تناول المدعوين من ناحية تصنيفهم؛ فالمسلم المقرّ بالوحدانية ليس كالجاحد لها، والجاحد للوحدانية مع الإقرار بالرسالات السماوية ليس كالوثني الجاحد للجميع، فلكلّ منهج، ولكلّ أسلوب... ولقد تناول الشيخ أبو بكر جابر الجزائري رحمه الله تعالى كل ذلك بمنهجية فريدة، أتى على جميع ما تتطلبه الدعوة، والداعية، والمدعوين.

### ثالثاً: الدلالات والأبعاد الدعوية المتعلقة بالعقيدة في تفسير (أيسر التفاسير).

لقد خلّف لنا الشيخ أبو بكر جابر الجزائري علماً أصيلاً، ومنهجاً سديداً، مستقى من كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم مرتباً بفهم السلف الصالح.

وفي هذه الفقرة نعرض -بعون الله تعالى- أهمّ الأبعاد الدعوية في تفسير الشيخ الجزائري المتعلقة بالأصل الأول؛ ألا وهو الدعوة إلى العقيدة، التي إن صلحت صلح ما سواها، وإن فسدت فسدت ما سواها؛ كما جاء في حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ألا وإن في الجسد مضغة؛ إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسدت الجسد كله؛ ألا وهي القلب" (14). والعقيدة هي أساس الدين، وأول الواجبات، وبها صلاح الأفراد والمجتمعات، كما يشهد

لذلك منهج الدعوة والتربية في القرآن والسنة، ولذا نجد أن الشيخ الجزائري رحمه الله اعتنى بهذا الأصل الأصيل فأولاه العناية الفائقة، فما مرّ بآية من آيات العقيدة في تفسيره إلا وقرّر فيها منهج السلف ونصرهم، وردّ على الفرق الضالة، ونظراً لكثرة مسائل العقيدة فإنني سأركز على بيان الدلالات والأبعاد الدعوية في تقرير أصول العقيدة الثلاثة: التوحيد، والنبوة، والبعث والجزاء؛ لأن الشيخ اعتنى بها كثيراً، وذكرها عشرات المرات، ويكون بيانها على النحو التالي:

### 1: التوحيد ومعنى (لا إله إلا الله) عند الشيخ الجزائري.

**معنى (كلمة التوحيد):** إن معنى "لا إله إلا الله" أي: لا معبود بحق إلا الله، (لا إله): نائياً جميع ما يُعبد من دون الله فلا يستحق أن يعبد. (إلا الله): مثبتاً العبادة لله فهو الإله الحق المستحق للعبادة. فلا إله إلا الله؛ فالكلمة قد اشتملت على النفي والإثبات، فنفت الإلهية عن كل ما سوى الله تعالى، فكل ما سواه من الملائكة والأنبياء، فضلاً عن غيرهم، فليس بإله وليس له من العبادة شيء، وأثبتت الإلهية والعبادة لله وحده. وهذا المعنى لكلمة التوحيد (لا إله إلا الله) دلّ عليه القرآن الكريم من أوله إلى آخره مقررّاً له ومرشداً، قال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا \* يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾<sup>(15)</sup>. فلا إله إلا الله؛ لا تنفع إلا من عرف مدلولها نفيّاً وإثباتاً، واعتقد ذلك وقبّله وعمل به، وأما من قالها من غير علم واعتقاد وعمل، فهو جهل منه، وهي حجة عليه<sup>(16)</sup>.

### عرض وتقرير هذا المعنى عند الشيخ الجزائري في تفسيره:

كان الشيخ الجزائري - رحمه الله - ممن دعا إلى إخلاص التوحيد، والبعد عن الشرك، وبيّن أن تحقيق "لا إله إلا الله" لا يتم إلا بذلك، وهذا المعنى الذي أرشد إليه الجزائري، نلاحظه من خلال تفسيره لآيات القرآن الكريم المتعلقة بوحداية الله تبارك وتعالى، قال تعالى: ﴿وَالهَيْكُلُ لِلَّهِ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾<sup>(17)</sup> قال الجزائري في هداية الآية: لا إله إلا الله؛ فلا تصح العبادة لغير الله تعالى، لأنه لا إله حق إلا هو<sup>(18)</sup>، ويوضح أكثر في نهر الخير: "جملة لا إله إلا الله؛ أولها كفر وآخرها إيمان؛ لأن أولها نفي لكل إله، وآخرها إثبات الألوهية لله سبحانه وتعالى وحده دون سواه"<sup>(19)</sup>. وقال الشيخ - رحمه الله - في قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾<sup>(20)</sup> أي: فاعلم يا محمد! أنه لا معبود ينبغي له العبادة وتصلح له؛ إلا الله الذي هو خالق كل شيء ومالكه، و (استغفر) أي: اطلب من ربك المغفرة لك وللمؤمنين والمؤمنات<sup>(21)</sup>.

## 2 : التوحيد هو الأصل في دعوة جميع الأنبياء إليه.

يؤكد الشيخ أبو بكر جابر الجزائري -رحمه الله-: أن تحقيق التوحيد بشهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جاء على لسان جميع الرسل والأنبياء، وأن الكفار والمشركين ومن على شاكلتهم ممن جحدوا وأنكروا، أو لم يخلصوا توحيدهم لله، لا برهان عندهم، وأن عملهم للفطرة السليمة التي فطرهم الله عليه، ففي تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (22) قال: "أخبر تعالى عن وحدة الدعوة بين الرسل وهي لا إله إلا الله المفسرة بعبادة الله تعالى وحده، واجتناب الطاغوت وهو كل ما عبد من دون الله" (23)، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (24) يقول الجزائري في تفسيرها: "هذا برهان آخر على إبطال الشرك؛ إذ عامة الرسل جاءت بالتوحيد بلا إله إلا الله، فكيف يصح إذاً إقرار الشرك والعمل به" (25) ويؤكد أكثر فيقول: "أن الدعوة إلى لا إله إلا الله دعوة كافة الرسل" (26). وفي موضع آخر يقرر أن التوحيد هو الأساس في دعوة الرسل فيقول: "تقرير التوحيد بذكر دعوة الرسل أقوامهم إليه" (27) وأن دعوتهم واحدة، فيوضح بقوله: "دعوة الرسل واحدة في باب العقيدة إذ كلها تقوم على أساس التوحيد والطاعة" (28).

## 3 : وجوب توحيد الله تعالى في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته وأن توحيدَه في الربوبية يقتضي توحيدَه بالألوهية:

يذكر الشيخ في تفسيره أنواع التوحيد الثلاثة في عدة مواضع، فيقول: "أول ما على العلماء أن يبينوه للناس وهو توحيدَه تعالى في ربوبيته وعبادته، وأسمائه وصفاته" (29). ثم إن توحيد الربوبية أمر ثابت في الفطرة، لا يكاد ينازع فيه أحد، حتى أن مشركي العرب الذين بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا مقرين به ولم ينجهيم بل إن الله كفرهم، والرسول صلى الله عليه وسلم قاتلهم حتى يقروا بتوحيد الألوهية، يقول أبو بكر جابر الجزائري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (30)، أي: لمن سألت يا رسولنا هؤلاء المشركين قائلاً لهم: من خلق السموات والأرض؟ لبادررك بالجواب قائلين: الله، إذاً قل الحمد لله على إقامة الحجة عليكم باعترافكم، وما دام الله هو الخالق الرازق كيف يُعبد غيره أو يُعبد معه سواه أين عقول القوم؟ ويوضح أكثر في هداية الآية فيقول: "بيان أن المشركين من العرب موحدون في الربوبية مشركون في العبادة كما هو حال كثير من الناس اليوم؛ يعتقدون أن الله رب كل شيء ولا رب سواه ويذبحون وينذرون ويحلفون بغيره، ويخافون غيره ويرهبون سواه، والعباد بالله" (31).

وقد اعتنى الجزائري بالاستدلال من كل آية التي تقرر حق الله على عباده في إفراده وحده بالعبادة وألا يشركوا شيئاً وأن توحيد الربوبية يقتضي الألوهية فيقول في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (32)، أي: ولن سألته هؤلاء المشركين من خلقهم لأجابوك قائلين الله. فسبحان الله كيف يقرون بتوحيد الربوبية وينكرون توحيد العبادة، فلذا قال تعالى: ﴿فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ أي: كيف يصرفون عن الحق بعد معرفته يعرفون أن الله هو الخالق لهم ويعبدون غيره ويتركون عبادته (33).

ثم قرر في عدة مواضع من هداية الآيات هذا الموضوع ومنها:

1\_ قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته وتدييره وملكه ومرد الأمور إليه كلها مظاهر الربوبية الموجبة للألوهية وهي مقتضية للبعث الآخر والجزاء فيه (34).

2- تقرير التوحيد بذكر صفات الربوبية المقتضية للألوهية (35).

3- مشركو العرب على عهد النبوة موحدون في الربوبية مشركون في العبادة (36).

4: توضيح عقيدة السلف في توحيد الأسماء والصفات (37):

الشيخ أبو بكر جابر الجزائري - رحمه الله - يفسر آيات الصفات على إثباتها؛ لا على النفي أو التأويل أو التشبيه، وقد عرض الجزائري معتقد السلف في باب الأسماء والصفات إجمالاً وتفصيلاً وذكر الأدلة عليه، ودافع عن عقيدة السلف الصالح، ويقوم منهجه في توحيد الأسماء والصفات يقوم على ثلاثة أصول وهي:

1: أن أسماء الله تعالى وصفاته توقيفية

يقول الجزائري في هداية قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ (38) "إن الله الأسماء الحسنى؛ وهي مئة اسم إلا اسماً واحداً، فيدعى الله تعالى وينادى بها، وكلها حسنى كما قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ (39).

ثم ذكر في نحر الخير الإجماع (40): على أنه لا يصح وضع اسم لله تعالى بالنظر والاجتهاد وإنما أسماءه وصفاته توقيفية مصدرها الوحي الإلهي: الكتاب والسنة (41).

2: إثبات أسماء الله تعالى وصفاته الواردة في الكتاب والسنة، بإثبات ألفاظها ومعانيها، فالمعنى معلوم والإيمان به واجب (42)، وكذا نفي ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم

فقد ذكر الشيخ - رحمه الله - في قوله تعالى ﴿بَلْ يَدَّأُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ (43) من هداية الآية "ثبوت صفة اليمين لله تعالى، ووجوب الإيمان بها على مراد الله تعالى، وعلى ما يليق بجلاله وكماله" (44). وقال الشيخ في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِي رَبُّكَ أَوْ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ (45) أي: "ما ينتظرون إلا أن تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم، أو يأتي ربك

يوم القيامة لفصل القضاء" (46)، ثم أورد في هداية الآيات: "إثبات صفة الإتيان في عرصات القيامة للرب تبارك وتعالى لفصل القضاء" (47). ويقول في نحر الخير معلقاً على تفسيره لقوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ (48) في قوله {بيدي} "إثبات صفة اليمين لله تعالى، وقد وردت أحاديث صحيحة تقرر ذلك وتثبته، فوجب الإيمان بهذه الصفة الذاتية لله تعالى مع تنزيهه تعالى أن يكون يده تشبه يدي من له يدان من خلقه؛ لأن الله تعالى ليس كمثل شيء (49).

### 3: نفي العلم بكيفية الصفات فلا نشبهه ولا نمثل ولا نأول بل نفوض علم الكيفية إلى الله تعالى

يقول الجزائري - رحمه الله - في نحر الخير في تفسيره قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (50) معلقاً: "لما كانت جملة ليس كمثل شيء صفة سلبية أعقب عليها بصفات إيجابية، وهي كونه تعالى سميعاً بصيراً، وهكذا الحكم في صفات الله تعالى فيثبت له ما أثبتته هو لنفسه وأثبتته له رسوله من الصفات العلى وينفى عنه من صفات النقص كالمثلية والتشبيه وما نفاه تعالى هو عن نفسه ونفاه عنه رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (51).

### 4: منهجه في الدعوة إلى عبادة الله وإظهار عجز الآلهة المعبودة من دون الله:

لقد قد تنوعت طرقه رحمه الله تعالى في بيان التوحيد وإظهار عجز الآلهة المعبودة من دون الله جرياً على منهج القرآن الكريم من ذلك:

أ - بيان أن القوة لله جميعاً وأن الشفاعة ملكه وحده: وذلك عند تفسير قول الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (52) قال الشيخ رحمه الله: "جميع أنواع الشفاعة هي ملك لله محتصة به؛ فلا يشفع أحد إلا بإذنه، إذا فاطلبوا الشفاعة من مالكةا الذي له ملك السموات والأرض، لا ممن هو مملوك له، ولا يعقل حتى معنى الشفاعة ولا يفهمها (53).

ب - إظهار عجز الآلهة المزعومة: فلا يحصل منها نفع لمن عبدها من هذا شأنه لا يصلح أن يعبد: وذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا هُمْ فِيهَا مِنْ شَرِكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ (54) يقول الشيخ في تفسيره: "ادعوا الذين زعتم من دون الله أنهم شركاء لله في ألوهيته، لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ملكاً استقلالياً لا يشاركونهم الله فيه، وما لهم فيهما من شرك، وليس لله تعالى من شركائكم الذين تدعوهم من معين على شيء" (55).

### ج - التنديد بالآلهة المزعومة وتسفيه من عبدها من دون الله:

وذلك عند تفسير قوله الله تعالى: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا



يُضْرِكُمْ \* أَفَ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿56﴾. قال الشيخ أبو بكر الجزائري رحمه الله: "يخبر تعالى أن إبراهيم عليه السلام قال لقومه منكراً عليهم عبادة الأصنام وقال: أتعبدون آلهة دون الله علمتم أنها لا تنفعكم شيئاً ولا تضركم ولا تنطق إذا استنطقت ولا تجيب إذا سئلت فقبحاً لكم ولتلك التماثيل التي تعبدون من دون الله الخالق الرازق الضار النافع، أفلا تعقلون قبح عبادتها وباطل تأليها لأنها جمادات لا تسمع، ولا تنطق ولا تنفع ولا تضر" (57).

فعلى الدعاة إلى الله تعالى الاهتمام بهذا المنهج والإفادة منه، وعدم الالتفات إلى ما يثيره بعض الناس- عن جهل أو سوء فهم أو سوء قصد- أن الكلام في التوحيد والرد على الشرك يُفَرِّق الصفّ ويضعف شمل الأمة، وهو قول باطل ومخالف للإسلام، بل ما فَرَّق الصف إلا الشرك والبدع والمحدثات في الدين، وعلى رأسها ترك الدعوة إلى التوحيد على منهج أهل السنة والجماعة.

**أهم الدلالات والأبعاد مما تقدم، يتبين لنا ما يلي:**

1- أن يفقه الداعية معنى التوحيد ومفهومه في ضوء الأدلة الشرعية وعبارات سلف الأمة وعلمائها المعترين - كما تقدمت الإشارة إليه- ثم يعلّمها الآخرين؛ وذلك لأن العلم قبل القول والعمل، وفقد الشيء لا يعطيه، فالجهل بهذا الأمر له بعدٌ سلبيٌّ وتأثير بالغ الخطورة على الداعية والمدعوين، وكم رأينا من أناسٍ لهم حرص في مجال الدعوة والإصلاح، ولكن عندما تسألهم عن معنى التوحيد تجدهم يفسرونه بتوحيد الربوبية فقط ويهملون الجزء الأهم فيه أعني توحيد الألوهية! ويزداد الأمر شناعة عندما ترى بعض الناس يندرون للقبور والأولياء أو يتوسلون ويستشفعون ويستغيثون بهم وعندما تسألهم أليس هذا ينافي حقيقة التوحيد؟

2- أن يستهل الداعية دعوته بتعليم الناس عقيدة التوحيد والتحذير عما يناقضه أو ينقص كماله كالشرك ووسائله وغير ذلك، كما هو ملحوظ وملحوس في دعوة الأنبياء عليهم السلام، وما ذلك إلا لأن التوحيد هو علة خلق الخلق وهو زبدة دعوة الرسل وهو أول ما يسأل عنه في البرزخ وعلى أساسه انقسم الناس في الدار الآخرة إلى فريقين: فريق في الجنة وفريق في السعير، ولأجله قام سوق الجنة والنار. وإذا استطاع الداعية أن يغرس في قلوب الناس أهمية ومكانة التوحيد فإنه يسهل عليه حينئذٍ إصلاح الباقي، إذ التوحيد هو الأساس الذي يبنى عليه الأعمال وبصلاحه يصلح العمل كله ومع فساده يفسد العمل كله بحيث يصبح هباءً منثوراً كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدر صاحبه على شيء مما عمله -والعياذ بالله-.

3- على الداعية أن يستفيد من منهج القرآن الكريم في بيان أهمية التوحيد وشناعة الشرك والمشركين، وذلك لأن القرآن بين هذه المسألة ببيان كاف شاف لا وكس فيه ولا شطط، وأورد في سبيل ذلك

الأدلة النقلية والعقلية والفطرية والحسية والإلزامية بما لا مزيد عليه كما أشار إلى ذلك الشيخ الجزائري رحمه الله.

فإذا أخذ الداعية هذا الأمر بعين النظر والاعتبار فإنه بإذن الله سيظفر بالمطلوب وسيجد بإذن الله أن دعوته سوف تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

و**خلاصة الأمر** أن على الدعاة إلى الله تعالى الاهتمام بهذا المنهج والإفادة منه، وعدم الالتفات إلى ما يثيره بعض الناس - عن جهل أو سوء فهم أو سوء قصد - أن الكلام في التوحيد يفرّق الصف، وما أصابوا في ذلك، بل ما فرّق الصف إلا البدع والمحدثات في الدين، وعلى رأسها ترك الدعوة إلى التوحيد على منهج أهل السنة والجماعة. والله تعالى الهادي إلى سواء السبيل.

#### رابعاً: الرسالة وتحقيق معنى شهادة (أن محمداً رسول الله)

إن تحقيق شهادة أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الشرط المكمل لشهادة أن لا إله إلا الله، وبتحقيقهما يتم تحقيق الركن الأهم الأول من أركان الإسلام، وشهادة أن محمداً رسول الله تقتضي العلم والمعرفة الصحيحة والاعتقاد الجازم الخالص بأن محمداً صلى الله عليه وسلم رسولاً من عند الله تعالى إلى عباده كافة بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فلا بدّ من طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يعبد إلا بما شرع، واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من الشرع الحكيم يصون من البدع ويحصل العبد بذلك على محبة الله تعالى، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (58) وقال تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (59)، فإتباعه صلى الله عليه وسلم هو معنى الشهادة له بالرسالة.

#### عرض الشيخ الجزائري لهذا المعنى وتفصيله له:

#### 1: الوحي والرسالة هي الأصل الثاني للدين

يهتم الشيخ - رحمه الله - ببيان أصول الدين الثلاث: التوحيد والوحي والبعث، في تفسيره أشد الاهتمام، وبعد قراءتي للتفسير، وجدت أنه يتنوع في بيانه، تارةً في تقريره، حيث يقول: "لما قرر تعالى في الآية السابقة أصل الدين وهو: التوحيد الذي هو عبادة الله تعالى وحده؛ قرّر في هذه الآية أصل الدين الثاني وهو: نبوة رسوله محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"، وفي هداية الآية ذكر فيها: "تقرير نبوة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإثبات نزول القرآن عليه" (60). ويوضح الشيخ - رحمه الله - حاجة العباد إلى الرسالة والوحي فيقول في هداية قوله تعالى: "قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَعِزَّ بِذَنْبِكَ﴾ (61) "وجوب العلم بأنه لا إله إلا الله، وذلك، ولما كانت العبادة لا تعرف إلا بالوحي وجب الإيمان برسول الله فكان لا بدّ من زيادة محمد رسول الله فنقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله (62).

## 2: مدار الحياة يقوم على إثبات أصول الدين الثلاث:

يقول الشيخ - رحمه الله - في نهر الخير معلقاً على الآية: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ (63)؛ "فيه تقرير النبوة المحمدية بإثبات الوحي الإلهي لمن يشاء من عباده؛ فبعد تقرير البعث والتوحيد قرر النبوة المحمدية وهذه أصول الدين التي عليها مدار الحياة الإيمانية" (64).

## 3: دعوى محبة الرسول صلى الله عليه وسلم يتحقق باتباعه صلى الله عليه وسلم:

يستدل الشيخ - رحمه الله - بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (65) على تحقيق معنى شهادة أن محمداً رسول الله، وأن المحبة الصحيحة للنبي صلى الله عليه وسلم إنما تتحقق بقبول ما جاء به من ربه، وأن عدم قبول ما جاء به، أو رد ذلك دليل على أن المحبة كاذبة.. فقال رحمه الله: "طريق الحصول على محبة الله تعالى للعبد هو اتباع النبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالإيمان بما جاء به، واتباع شرعه، وطاعته في المنشط والمكروه" (66).

## 4: محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أفضل الأنبياء وأكملهم وخاتمهم:

بيّن الشيخ رحمه الله أن من خصائص الرسول صلى الله عليه وسلم التي تفرّده به عن إخوانه من الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام أنه أكملهم وخاتمهم، يقول في قوله تعالى: ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً﴾ (67) في الآية: "شهادة الرب تبارك وتعالى والملائكة بنبوة خاتم الأنبياء ورسالته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" (68). وأن أول الرسل نوح عليه السلام وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم (69). وهاتان الشهاداتان متلازمتان أي شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمداً رسول الله، فلا تقبل إحداهما دون الأخرى.

## ويستخلص مما تقدم من تقريرات الشيخ رحمه الله الدلالات والأبعاد الدعوية الآتية:

1- على الداعية أن يفقه معنى الشهادة لرسول الله بالعبودية والرسالة حق المعرفة وذلك بطاعته فيما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجر وتصديقه فيما أخبر وألا يعبد الله إلا بما شرع وأنه عبد الله لا يطرى ولا يبالغ في حقه. وإذا فقه الداعية هذا المعنى واستشعره في مهامه ودعوته ووضع نصب عينه فإنه حينئذ يكون مكماً لكلمة الشهادة التي يجب اعتقادها على كل مسلم وسيكون بإذن الله بعيداً عن الجفاء والغلو في حقه صلى الله عليه وسلم، وسيكون بمنأى عن كل ما يقدر في دعوته ويجرح في شخصيته، وبالتالي سيصبح قدوة حسنة ومشعل هداية ومفتاح خير ومغلاق شر لغيره وحينئذ سينال بدعوته منازل السائرين إلى الله وطريق السالكين لهدي نبيه صلى الله عليه وسلم.

2- على الداعية أن يفقه بنفسه ثم يعلم غيره بأن محبة النبي صلى الله عليه وسلم تستلزم طاعته واتباع نهجه في شؤون الحياة وعمل يومه وليلته؛ وذلك لأن المحب يسلك حُطًى محبوبه حذواً بحذو

وشبراً بشيرٍ وإلا فإن دعوى محبته لا تُصدَّق له ولا تُقبل منه لأنها حينئذ لا تكون إلا شعاراً ظاهره الرحمة وباطنه من قبله العذاب، وكم رأينا من أناس في مجال الدعوة يدعون محبة النبي صلى الله عليه وسلم ثم تجدهم يخالفون سيرته وسنته وعقيدته فكيف يُكتب القبول لدعوتهم وتُكَلَّل مساعيهم بالنجاح والتوفيق ورضى الرب سبحانه، وهو القائل: (من يُطع الرسول فقد أطاع الله). ولقد صدق الشاعر في مثل هذا حيث قال:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه  
إن هذا لفي الزمان بديع  
لو كان حبك صادقا لأطعته  
إن المحب لمن يحب يطيعه.

3- على الداعية أن يفقه ويعلم الآخرين أن دعوة النبي صلى الله عليه وسلم إنما هي دعوة عالمية تشمل كافة أطياف وفئات العالم من الناس بحيث لا يستثنى منها أحد يهوديا كان أو نصرانيا أو لا دينياً أو غير ذلك، وهذا يستلزم بذل قصارى الجهد والجد في إصدار الدعوة المحمدية إلى أولئك على أمل إخراجهم من ظلمات الوثنية والإلحاد إلى نور الرسالة المحمدية، ومعلوم أن التقنية الحديثة ذللت أمام الدعاة كثيراً من العقبات والصعوبات التي كانت تُواجه بالأمس لأن العالم اليوم أصبح كقرية صغيرة يُرى باطنها من ظاهرها، وإذا تماون الدعاة في هذا الأمر كما هو مشاهد فسيكونون هم المستهدفون بدعوة أصحاب الديانات الباطلة والأفكار الهدامة والأهواء المضللة عن طريق الغزو الفكري الذي استهدف أفكار الناس ومعتقداتهم وثقافتهم بل وحتى حياتهم اليومية وشؤونهم الداخلية، بله ولباسهم الذي يُؤاري سوءاتهم ويستر عوراتهم -ولا حول ولا قوة إلا بالله-، فحريٌّ بالدعاة أن يتفطنوا لهذا الأمر وإلا فإن كارثة ستحل بهم أو قريباً من ديارهم ثم لا يجدون ملجأً أو مأوى ينقذهم من هذا السيل العارم والظوفان الغاشم.

4- على الداعية أن يذدَّ عن جناب النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأن يحرض المؤمنين على ذلك، وذلك برد دعاوى المناوئين وشبهات المبطلين ومطاعن المغرضين، بالرد العلمي الرصين ونشر محاسن وفضائل النبي الكريم، وخصوصاً في هذه الآونة الأخيرة التي تجرأ أعداء الإسلام فيها إلى تشويه صورته والنيل عن مكانته وشخصيته، وبأبي الله إلا أن يتم نوره ويعلي من شأن حبيبه بإسلام عشرات من الناس في ديار الكفر والوثنية والإلحاد حين يطالعون سيرتها العطرة ويتأملون في شخصيته العبقريّة الحكيمه.

#### خامساً: الدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر (المعاد / البعث / الجزاء)

بعد الدعوة إلى الإيمان بتوحيد الله وتصديق رسوله صلى الله عليه وسلم، يجب على الدعاة الدعوة إلى الإيمان بالبعث والجزاء، وقد اهتم القرآن الكريم به، وتصديقاً به وذكر جزاء لمن أنكره لأن الله يجازي من يستحق العذاب بعدله، ويعفو ويعطي الجنة بفضله وكرمه.

## عرض الشيخ الجزائري لهذا المعنى وتفصيله له:

قد أشار الشيخ - رحمه الله - إلى تفاصيل الإيمان باليوم الآخر والبعث والنشور؛ فذكر عذاب القبر ونعيمه، وأشراط الساعة وأحوال القيامة من الجنة والنار كما أخبر بها الله ورسوله، فقد استدل - رحمه الله - بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (70) بالإيمان باليوم الآخر، فيقول: "يصدقون بالحياة في الدار الآخرة وما فيها من حساب وثواب وعقاب هم عالمون متيقنون لا يشكون في شيء من ذلك ولا يرتابون لكامل إيمانهم وعظم اتقائهم" (71).

وتفصيلها على سبيل الإيجاز على النحو التالي:

### 1: فتنة القبر:

يؤمن أهل السنة والجماعة بفتنة القبر، وقد استدلل الشيخ عليها بعدة آيات منها، قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ (72) في الآية "تقرير عذاب القبر، وسكرات الموت وشدتها" (73). وفي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (74) يقول الشيخ في هداية الآيات: "تقرير عذاب القبر بتقرير العذاب عند النزاع" (75) وفي قوله تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾ يقول: "الأولى قد تكون فضيحتهم بين المسلمين وبأيديهم والثانية عذاب القبر" (76).

### 2: علامات الساعة:

أشراط الساعة أو علامات الساعة هي من مقدّمات اليوم الآخر، وقد قسّمها العلماء إلى علامات صغرى، وعلامات كبرى، وقد ذكر الشيخ الجزائري بعض هذه العلامات في تفسيره، يقول في تفسير الآية ﴿أَوْ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ (77) "الآيات بمعنى العلامات الدالة على قرب الساعة الكبرى؛ منها عشر جاءت في حديث مسلم إذ روى عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: أشرف علينا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غرفة ونحن نتذاكر الساعة فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات؛ طلوع الشمس من مغربها، والدخان، والدابة، وخروج يأجوج ومأجوج وخروج عيسى بن مريم، وخروج الدجال وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب. وخسف بجزيرة العرب، ونار تخرج من قعر عدن تسوق أو تحشر الناس تبين معهم حيث باتوا وتقبل معهم حيث قالوا" (78). وفي نهر الخيزرق يقول: "أشراط الساعة والثابت بالسنة الصحيحة في حديث مسلم وهو أنهنّ تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر - الدخان والدجال والدابة، وطلوع

الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم، وأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب وأخذ ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم (79). وكذلك طلوع الشمس من المغرب من علامات الساعة الكبرى، فقال: "وفي الآية تقرير أشراف الساعة، وإن طلوع الشمس منها وأنها متى ظهرت أغلق باب التوبة" (80).

### 3: البعث:

إن الإيمان بالبعث يدخل في الإيمان باليوم الآخر بمعنى أن الله تعالى يبعث الناس من قبورهم ويعيدهم من قبورهم ويوجدهم من العدم، وقد كذب الكفار البعث وأنكروا الميعاد، فيقول عند تفسيره قوله تعالى: ﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ \* وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ (81)، "قد أخبر تعالى أنه بعد سؤالهم وتعريفهم بأعمالهم ينصب الميزان وتوزن لهم أعمالهم فمن ثقلت موازين حسناته أفلح بالنجاة من النار ودخول الجنة دار السلام ومن خفَّت لقلته حسناته وكثرت سيئاته خسر نفسه بإلقائه في جهنم ليخلد في عذاب أبدي، وعلل تعالى لهذا الخسران في جهنم بقوله ﴿ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾: أي يكذبون ويحذون (82) ثم في هداية الآيات ذكر أن فيها: "تقرير عقيدة البعث والسؤال والحساب ووزن الأعمال يوم القيامة" (83)، ويقول في تفسير: ﴿ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى ﴾ (84)، "أي: كذلك نحبي الموتى ونخرجهم من قبورهم أحياء" (85). وقرر في هداية الآيتين: "أن تقرير عقيدة البعث والحياة بعد الموت للحساب والجزاء إذ هي من أهم أركان الإيمان" (86). وعند تفسيره قوله تعالى: ﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ﴾ (87)، يقول: "وفي هذا تأكيد لقضية البعث والجزاء" (88).

ويستدل الشيخ - رحمه الله - من قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ (89) فيقول: "دليل البعث والحياة الثانية إحياء الأرض بعد موتها فالقادر على إحياء الأرض بعد موتها قادر على إحياء الأموات بعد فنائهم وبلاهم" (90). وهكذا نجد الشيخ - رحمه الله - استخدم المنهج العاطفي والعقلي في تقرير البعث، والإعداد له، والدعوة إلى تصديقه والإيمان به وأحواله، والبعث أكثر قضية حضوراً في تفسير الشيخ بعد مسألة التوحيد.

### 4: الجنة والنار:

الجنة: هي دار السلام التي وعد الله بها عباده المتقين (91) والنار: هي دار العذاب التي أعدها الله للكافرين بالله وعصوا رسوله (92). قال تعالى: ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ حَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أُنْعَاءَهُمْ ﴾ (93) يقول الشيخ في

الآية: "هذه الآية الكريمة اشتملت على مقارنة بين حال أهل الإيمان والتقوى وما وعدوا به من مغفرة ذنوبهم وإدخالهم الجنة، وبين حال أهل النار وهم خالدون فيها وما وعدوا فيها من ألوان العذاب الشديد"<sup>(94)</sup>.

وقد أورد الشيخ رحمه الله في مواضع متعددة من تفسيره أحوال الجنة والنار، وما منزلة أهل الجنة وأهل النار، وماذا أعدت للمؤمنين من المآكل والملذات، وللكافرين من العذاب والذل والهوان، يقول الشيخ أبو بكر جابر الجزائري في تفسير الآية: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(95)</sup>، فيها "بشرى المؤمنين الصادقين من ذوي الصفات المذكورة في الآيات وهو أنه تعالى أعد لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر كما جاء في الحديث الصحيح قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ( قال الله تعالى: أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر)"<sup>(96)</sup>.

ويقول الشيخ في تفسير الآية: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ \* لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾<sup>(97)</sup> وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ \* لَا يُفْتَرُّ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾<sup>(98)</sup> أي "وهذه هي الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون من الصالحات والخيرات،... التي زكت نفوسكم وطهرت أرواحكم فاستوجبتم دخول الجنة وإرث منازلها، ويقال لهم ﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ إكراماً لهم وإسعاداً. ثم إن الذين أجرموا على أنفسهم بالشرك والمعاصي في جهنم خالدون لا يخرجون ولا يموتون، ولا يخفف عنهم العذاب وهم فيه ساكنون سكوت بأس. ثم يقول: "لما ذكر تعالى الجنة ونعيمها ذكر في هذه الآيات النار وعذابها وهذا هو الترغيب والترهيب الذي امتاز به أسلوب القرآن في الدعوة إلى الله تعالى وهداية الخلق إلى الإصلاح"<sup>(99)</sup> وهذا وغيرها من المواطن الكثيرة التي استخدم فيها الشيخ المنهج العاطفي للترغيب في الجنة والترهيب من النار.

**بعض الدلالات والأبعاد الدعوية المستفادة من كلام الشيخ الجزائري في هذا المطلب على النحو الآتي:**

1- على الداعية أن يستشعر فتنة القبر ونعيمه وعذابه ليتزود له بالعمل الصالح، وعليه أن يذكر الناس بأسباب عذاب القبر والأسباب المنجية منه وأن يشعرهم بأن القبر أول منازل الآخرة فإن وُفِّق العبد بالجواب فيه والنجاة من سخط الله فيه فما سواه من الحساب عليه أهون وأسهل، وإن أخفق فيه العبد وحُرِّم التوفيق فيه فما سواه من عذاب الآخرة أشد وأعسر.

2- على الداعية أن يعلم الناس أن الله يبعث من في القبور للحساب والجزاء وأن هذه المسألة اعتنى بها القرآن الكريم غاية الاعتناء وقد نَوَّع الأدلة على ذلك كالاستدلال بخلقهم من العدم على إعادتهم وأن

ذلك عليه أهون، والاستدلال بخلق السماوات والأرض مع أنه أكبر، والاستدلال بإحياء الأرض الميتة الخاشعة بعد أن يأس الناس منها، والاستدلال بإحياء بعض من أماتهم إلى غير ذلك من المسالك القوية التي لا يبقى معه أدنى شك في إثبات البعث بعد الموت، وأن هذا فيه رد على بعض الطوائف التي تنكر البعث والمعاد الأخروي كالملاحدة وأصحاب عقيدة التناسخ من الهنود وغيرهم.

3- على الداعية أن يذكر نفسه وغيره بالمحاسبة قبل أن يحاسبوا وأن العاقل من دان نفسه وعمل لما بعد الموت وأن الدنيا دار عمل وغرس وإنتاج وأن الآخرة دار جزاء وحصاد وهي دار القرار، وأن الدنيا فانية وعلى كل من عليها فان، وأن خلقهم فيها ليس إلا لأجل التزود للحياة الأبدية السرمدية وأن الناس مجزيون بأعمالهم إن خيرا فخير وإن شرا فشر ولا يظلم ربك أحدا.

ومعلوم أن استشعار هذا الأمر يقلل من شأن حطام الدنيا الزائل في قلب العبد ويعظم من شأن الحياة الأخروية ذات النعيم السرمدي الأبدى في قلبه، وهذا هو أسلوب الترغيب والترهيب الذي جرت عليه سنة المرسلين وصدعت به كتب الأولين والآخرين، كما نطق بذلك أحكم الحاكمين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ (100).

#### الخاتمة

ففي نهاية هذا المقال نذكر أهم النتائج التي وصلنا إليها من خلال تقارير الشيخ الجزائري على النحو الآتي:

1. تفسير الشيخ أبي بكر الجزائري -رحمه الله- المسمى بـ "أيسر التفاسير" يُعدّ من أهم التفاسير المعاصرة المختصرة، الذي قرر فيه عقيدة السلف في معنى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأن الدعوة إلى التوحيد من أهم المهمات وأول الواجبات وجميع الأنبياء والرسل دعوا أقوامهم إلى عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه.

2. اهتم المؤلف في تفسير القرآن الكريم ببيان الدعوة إلى الله عزوجل، وركز على أركان الدعوة الأربعة: الداعية، المدعو، المدعو إليه، الأساليب، وتنوعت عباراته وألفاظه عند تناول موضوع الدعوة. وعلى تربية الداعية تربية صحيحة وسليمة، واتصافه بصفات الداعية الناجح من الإخلاص والعلم والبصيرة والصبر واحترام الآخر...، واهتم كذلك بالمدعو، وبيان أنواعه وكيفية التعامل مع في صور وحالات مختلفة.

3. تناول المؤلف مادة الدعوة وما يدعو إليه الداعية، وهو العقيدة الصحيحة والشريعة الإسلامية المستمدة من الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة بعبارات سلسلة وسهلة وموجزة.

4. اهتم المؤلف ببيان أساليب الدعوة وطرقها ومناهجها، والبدء بالأهمّ والتدرج في الدعوة، كل ذلك بعلم وبصيرة وحكمة وتأني، وأسلوب أصيل ومناسب.



5. اهتم المؤلف كثيراً في تفسيره بأصول العقيدة الثلاثة: وهي الإيمان بوحداية الله، وتصديق الرسول، والإيمان بالبعث والجزاء، وعليها مدار السعادة، والفلاح، والفوز، والنجاة. وقرر الشيخ - رحمه الله - مبدأ المعاد والبعث و الإيمان بيوم الآخر و ما فيه من حساب و ميزان ووقوف أمام الله حسب معتقد أهل السنة والجماعة.
6. أنه تنوع في توضيح هذه المقاصد الثلاثة، فتارة أجمل و أخرى فصل، فهو يهتم أكثر بالتوحيد ويفصل في جزئياته، ثم يليه إمامه ببيان الرسالة وحاجة العباد إليها، ثم ببيان الإيمان باليوم الآخر وتفصيلاته.
7. على الدعاة أن يسلكوا طريق الأنبياء إلى الله في الدعوة إلى الله، ففيه الخير والنفع، وفي غير طريقهم الشر والضرر.
- وأوصي في ختام هذا المقال، بترجمة تفسير الشيخ أبو بكر جابر الجزائري إلى اللغات الأخرى؛ لاسيما الأردنية والبشتو وغيرها، فيكون في متناول أيدي الجميع منهجا مؤصلاً علمياً لقضايا الدعوة وأركانها بلغة العصر مستقى من الكتاب والسنة. وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نقرّ بأن هذا جهد المقل، المقرّ بالتقصير، فيصلح سهواً إن وقع،

- (1) الأساليب الدعوية عند الشيخ أبي بكر الجزائري عدنان بن عبد العزيز الخطيري، مجلة العلوم الإسلامية الدولية، جامعة المدينة العالمية، كلية العلوم الإسلامية، المجلد 4، العدد 4، ديسمبر 2020م ص (123-158)
- (2) يراجع للمزيد في ترجمة الشيخ أبو بكر جابر الجزائري إلى : أئمة الحرمين 1343-1436هـ، عبد الله بن أحمد آل عآلاف الغامدي، ص 1080-1093، دار الطرفين للنشر والتوزيع- الطائف، 1436هـ. والتفسير والمفسرون في غرب أفريقيا، ص (201/1-202، 635) محمد بن رزق السلمي أبو الأرقم المصري المدني، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ
- (3) راجع عناوين هذه الرسائل الكثيرة من حيث العناوين، والمضامين في المكتبة الوقفية.
- (4) الطبعة التي اقتنيتها من أيسر التفاسير هي الطبعة الثالثة عام 2002م تقع في مجلد ضخم، طُبع في مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة، وبهامشه نهر الخير على أيسر التفاسير، يصل مجموع صفحاتها إلى (1806) صفحة، تم وضع الصفحة الكاملة من مصحف المدينة، ثم قسمت إلى ثلاثة أعمدة، لبيان شرح الكلمات ومعاني الآيات وما يستفاد منها، وقد طبع قبل هذا الطبع في خمسة مجلدات كبار.
- (5) أيسر التفاسير أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر الجزائري (5/1) مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م

- (6) التيسير اللغوي لمعاني القرآن بالتفسير والبيان لدى أبي بكر الجزائري من خلال كتابه- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، حيزية كروش، ص 12
- (7) تفسير أيسر التفاسير 7-6/1
- (8) المصدر السابق 58/1
- (9) مصباح المنير، أحمد بن محمد علي الفيومي الحموي، أبو العباس (ت: 770هـ) 199/1، المكتبة العلمية- بيروت (د.س)
- (10) المعجم الوسيط، إعداد: أحمد الزيات، (المتوفى: 1968) حامد عبد القادر، محمد النجار (المتوفى: 1965) بمجمع اللغة العربية، 294/1، دار الدعوة، القاهرة، (د.ن)
- (11) انظر: شرح تنقيح الفصول، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقراي (المتوفى: 684هـ)، ص 23 شركة الطباعة الفنية المتحدة، الطبعة الأولى، 1393 هـ - 1973 م
- (12) معجم مقاييس اللغة، الرازي، 252/1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت، ط1، 1979م.
- (13) المعجم الوسيط، مصطفى وآخرون، 63/1
- (14) متفق عليه: أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب فضل من استبرأ لدينه حديث رقم (52). ومسلم في كتاب المساقاة باب أخذ الحلال وترك الشبهات حديث رقم (1599).
- (15) سورة الجن، الآية رقم (2-1).
- (16) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد؛ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب التميمي (ت: 1285هـ) ص 34.
- (17) سورة البقرة، الآية رقم (163)
- (18) أيسر التفاسير (141/1)
- (19) المصدر السابق 140/1
- (20) سورة محمد، رقم الآية (16)
- (21) أيسر التفاسير 82-81/5
- (22) سورة النمل، رقم الآية (35)
- (23) أيسر التفاسير (117/3).
- (24) سورة الأنبياء، رقم الآية (21)
- (25) أيسر التفاسير، 406/3
- (26) المصدر السابق 342/3.
- (27) المصدر السابق ، 513/3
- (28) المصدر السابق ، 203/2
- (29) المصدر السابق 140/1
- (30) سورة لقمان، رقم الآية (25)
- (31) أيسر التفاسير 313-312/4

- (32) سورة الزخرف، رقم الآية (86)
- (33) أيسر التفاسير 4/660.
- (34) المصدر السابق 5/259-260
- (35) المصدر السابق 4/630
- (36) المصدر السابق 4/661
- (37) هذا النوع من التوحيد داخل في توحيد الربوبية؛ لأن التوحيد قسمان: توحيد في المعرفة والإثبات، وهو توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وتوحيد في القصد والطلب وهو توحيد الألوهية والعبادة. ينظر: مدارج السالكين لابن القيم 449/3، لكن لما كثرت منكرات توحيد الأسماء والصفات، وروجوا الشبه حولهُ أفرد بالبحث وجعل قسماً مستقلاً وأُلفت فيه المؤلفات .
- (38) الإسرائ، 17: 110
- (39) سورة الأعراف، رقم الآية: 180
- (40) وقد ذكره جمع كثير من العلماء المتقدمين والمتأخرين؛ منهم الإمام أحمد في ( الرد على الجهمية والزنادقة)، وعثمان الدارمي في ( الرد على الجهمية)، وعبد الله بن الإمام أحمد في ( السنة)، وابن أبي عاصم في ( السنة)، والآجري في ( الشريعة)، وابن تيمية في ( التدمرية) وغيرها، والذهبي في ( العلو)، وابن أبي العز في ( شرح العقيدة الطحاوية)؛ ومن المعاصرين: الشنقيطي في ( منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات)، وابن عثيمين في ( القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنی)، وغيرهم كثير .
- (41) أيسر التفاسير 3/235 .
- (42) على حدّ قول الإمام مالك رحمه الله تعالى عند ما سُئل عن الاستواء فقال: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة". انظر (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة) للكاظمي 3/398. ورسالة عبد الرزاق البدر في قول الإمام مالك المذكور. بعنوان: (الأثر المشهور عن الإمام مالك في صفة الاستواء: دراسة تحليلية).
- (43) سورة المائدة (64)
- (44) أيسر التفاسير 1/652
- (45) سورة الأنعام، رقم الآية (158)
- (46) أيسر التفاسير 2/146
- (47) المصدر السابق 2/147
- (48) سورة ص، رقم الآية (75)
- (49) أيسر التفاسير 4/463
- (50) سورة الشورى، رقم الآية (11)
- (51) أيسر التفاسير، 4/597
- (52) سورة الزمر، رقم الآية (44).
- (53) أيسر التفاسير 4/493-494.
- (54) سورة سبأ، رقم الآية (22).

- (55) أيسر التفاسير 316/4.
- (56) سورة الأنبياء، رقم الآية (66 - 67).
- (57) أيسر التفاسير 426-425/3.
- (58) سورة البقرة، رقم الآية (31).
- (59) سورة النساء، رقم الآية (80).
- (60) أيسر التفاسير 34/1.
- (61) سورة محمد، رقم الآية (16).
- (62) أيسر التفاسير: 82/5.
- (63) سورة غافر، رقم الآية (15).
- (64) أيسر التفاسير 521/4.
- (65) سورة آل عمران، رقم الآية (31).
- (66) أيسر التفاسير 309/1.
- (67) سورة النساء، رقم الآية (166).
- (68) أيسر التفاسير: 577/1.
- (69) المصدر السابق 576/1.
- (70) سورة البقرة، رقم الآية (4).
- (71) أيسر التفاسير، 21/1.
- (72) سورة الأنعام، رقم الآية (93).
- (73) أيسر التفاسير، 93/2.
- (74) سورة الأنعام، رقم الآية (50).
- (75) أيسر التفاسير 319/2.
- (76) المصدر السابق 419/2.
- (77) سورة الأنعام، رقم الآية (158).
- (78) أيسر التفاسير، 146/2.
- (79) المصدر السابق 9/5، أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الآيات التي تُكوّن قبْل السَّاعَةِ، رقم الحديث: (7468)، (8/ 179).
- (80) أيسر التفاسير 147/2.
- (81) سورة الأعراف، رقم الآية (8-9).
- (82) أيسر التفاسير، 154/2.
- (83) المصدر السابق 154/2.
- (84) سورة الأعراف، رقم الآية (184).
- (85) أيسر التفاسير 184/2.

- (86) أيسر التفاسير 182/2
- (87) سورة يونس، رقم الآية (3).
- (88) أيسر التفاسير 449/2
- (89) سورة النحل، رقم الآية (63).
- (90) أيسر التفاسير 133/3
- (91) المصدر السابق 78/5
- (92) انظر لمعة الاعتقاد؛ لابن قدامة المقدسي (المتوفى: 620هـ) ص 26 الناشر وزارة الشؤون الإسلامية بالمملكة العربية السعودية ط2، 1420هـ.
- (93) سورة محمد، رقم الآية (15)
- (94) أيسر التفاسير 78/5
- (95) سورة السجدة، رقم الآية (17)
- (96) أيسر التفاسير، 231/4
- (97) سورة الزخرف، رقم الآية (71-72)
- (98) سورة الزخرف، رقم الآية، (73-74)
- (99) أيسر التفاسير 657-655/4
- (100) سورة الأنبياء، رقم الآية 90 .